جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

مجلة جامعة الملك خالد للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة فصلية تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية

المجلد السادس- العدد الرابع
أكتوبر 2025م

الرقم المعياري الموحد

P-ISSN 1658-872X

E-ISSN 1658-8568

رقم الإيداع

1442/3597

هيئة التحرير

رئيس التحرير

أ.د. أحمد بن يحيى آل فائع

مدير التحرير

أ.د. عبدالعزيز محمد رمضان

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. مصطفى محمد قنديل زايد

أ.د. نايف بن علي السنيد الشراري

د. علي عوض آل قطب عسيري

د. نعمة حسن محمد البكر

الهيئة الاستشارية

معالي أ.د. إسماعيل بن محمد البشري

جامعة الجوف سابقاً

معالي أ.د. سعيد بن عمر آل عمر

جامعة الحدود الشمالية سابقاً

أ.د. عبد اللطيف بن عبد الله بن دهيش

جامعة أم القرى

أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي

جامعة الملك سعود

أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب

جامعة الملك سعود

أ.د. مسفر بن سعد الخثعمي

جامعة بيشة

أ.د. عبد العزيز بن راشد السنيدي

جامعة القصيم

أ.د. غيثان بن علي جريس

جامعة الملك خالد

أ. د. محمد بن منصور حاوي

جامعة الملك خالد

المراسلات:

تُوجه المراسلات لرئيس تحرير المجلة على العنوان الآتي: المملكة العربية السعودية، أبها، جامعة الملك خالد، كرسي الملك خالد للبحث العلمي. فاكس: 072289241 , هاتف 072289241, بريد إلكتروني jhc@kku.edu.sa

شروط النشر:

تُرسل البحوث عبر الموقع الإلكتروني للمجلة :

/https://iitcsvc.kku.edu.sa/KKU_ScientificJournals

وفق الشروط الاتية :-

- عدم تعارض المادة العلمية مع أحكام الشريعة الإسلامية وأنظمة الدولة.
- تقبل المجلة البحوث والدراسات في مختلف التخصصات التاريخية والحضارية.
- يراعى في البحث الأصالة والجدة والجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء العلمية واللغوية.
- أن تتضمن ورقة الغلاف باللغتين العربية والإنجليزية: عنوان البحث، واسم الباحث، ولقبه العلمي، وتخصصه، وبريده الإلكتروني، فضلاً عن ملخص البحث (بما لا يزيد عن 200 كلمة) وكلماته المفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يُرسل البحث باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية عبر موقع المجلة في نسخة word (A4)، على ألا تتضمن أية بيانات دالة على هُوية الباحث، وألا تزيد صفحات البحث عن (50) ورقة تشمل الجداول والمراجع والملاحق.
- كتابة البحث باستخدام نظام متوافق مع أنظمة الحاسب الآلي، على أن يكون نوع الخط عربيًا تقليديًا Traditional Arabic والبنط (18) للعناوين الرئيسة للبحث، و (16) لمتن البحث، و(14) للهوامش.
- أن تكون طريقة التوثيق في نهاية البحث وفق منهج البحث العلمي المتبع، على أن يتم التعريف بالمصدر كاملاً عند ذكره أول مرة، وغير مطلوب إلحاق قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث.

- يسمح بالتوثيق من المواقع الإلكترونية وفق الشروط والطرائق المنظمة لذلك.
- عند قبول البحث للنشر في المجلة يُزود الباحث بخطاب رسمي مختوم بالموافقة على النشر.
- تُنشر نسخة الكترونية من أعداد المجلة على موقعها الإلكتروني.
- يتم ترتيب محتويات المجلة وفقًا لاعتبارات فنية.
- كل ما يُنشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه، ولا يُعد تمثيلاً لوجهة نظر المجلة.

محتويات العدد

مِحنُ العلماءِ بعد نهاية الدولة السعودية الأولى

1233هـ/1818م

منال عواد المريطب*

جامعة الملك عبد العزيز –السعودية

مستخلص:

يتناول البحث دور علماء الدولة السعودية الأولى في الدفاع عن دولتهم، والمحن التي عانوا منها بعد انهيار عاصمتهم الدرعية، فكما قاسى أهالي الدرعية بكافة أطيافهم من قسوة القوات الغازية، لم يكن علماء الدولة السعودية –رغم قدرهم ومكانتهم العلمية– بمنأى عن هذا الاضطهاد والتعذيب؛ ولأهمية هذا الأحداث تتناول هذه الدراسة " مِحن العلماء بعد نهاية الدولة السعودية الأولى 1233هـ /1818 م". وتبرز أهمية الدراسة في أنها تلقي الضوء على المحن التي استهدفت علماء الدرعية؛ وذلك لدعمهم قادة الدولة السعودية الأولى، ودورهم في نشر العلم وإثراء الحياة العلمية والدينية بها، كما ترصد هذه الدراسة أنواع المحن التي تعرض لها العلماء، والتي شملت القتل، والنفي، والسجن، والتعذيب وغيرها. واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي.

الكلمات المفتاحية: العلماء –العلم – الدرعية – المحن.

The Tribulations of Scholars after The End of The First Saudi State 1233AH/1818AD

Manal Awad ALmuraiteb

King Abdulaziz University / Jeddah

malmuraitb@kau.edu.sa

Abstract:

This study examines the role of scholars of the First Saudi State in defending their state and tribulations they suffered after the collapse of their capital,Diriyah. Just as the people of Diriyah,of all stripes, suffered the brutality of the invading forces, the scholars of the Saudi State, despite their stature and scholarly standing, were not immune to this persecution and torture. Given the importance of these events, this study addresses "The Tribulations of Scholars after The End of The First Saudi State AH/ 1818 AD 1233 "

This study examines the types of tribulations that scholars were subjected to, including murder, exile, imprisonment, torture, and other forms of abuse. The study adopts a descriptive historical.

Keywords: Sholars - Science - Diriyah - The Tribulations**.**

المـقدمة:

تأسست الدولة السعودية الأولى في عام 1139هـ/1727م على يد الإمام محمد بن سعود، ونجحت في توحيد أجزاء واسعة من الجزيرة العربية، وتمكنت من ضم منطقة الحجاز عام 1220هـ/1805م؛ مما أثار غضب الدولة العثمانية التي رأت في ذلك تهديدًا لنفوذها ومكانتها الدينية؛ فانتزاع منطقة الحجاز من يديها، يمثل ضربة قاسية للنفوذ العثماني في العالم الإسلامي ، وردًا على ذلك كلفت الدولة العثمانية والي مصر محمد علي باشا بمهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى، فأرسل ثلاث حملات للقضاء على الدولة السعودية الأولى، وتمكنت الحملة الأولى من إعادة سيطرتها على منطقة الحجاز، ثم قاد محمد علي باشا بنفسه الحملة الثانية لتدعيم قواته في مواجهة القوات السعودية، وبعد عودته إلى مصر أرسل محمد علي باشا حملة ثالثة بقيادة إبراهيم باشا بهدف القضاء على الدولة السعودية الأولى، فتقدمت الحملة إلى نجد وحاصرت الدرعية، وانتهى الحصار بالسيطرة على الدرعية عام (1233هـ / 1818م) .

كان لسيطرة القوات الغازية على الدرعية آثار قاسية ومؤلمة، فرغم أن الإمام عبد الله بن سعود، ضحى بنفسه واستسلم طواعية للقوات الغازية مقابل شرط واحد، وهو عدم التنكيل بالأهالي وعدم تدمير الدرعية، ورغم وعود إبراهيم باشا له بذلك إلا أنه أخلف تلك الوعود، وقام بتدمير الدرعية، وهدم دورها وأسوارها، وحرق مزارعها ومنازلها، ونكّل بأهلها بأشد صنوف العذاب.

عانى أهالي الدرعية بكافة أطيافهم من قسوة القوات الغازية، وقاسوا ويلات التعذيب والتهجير، ولم يكن علماء الدولة السعودية، رغم قدرهم ومكانتهم العلمية بمنأى عن هذا الاضطهاد والتعذيب، بل إن القوات الغازية استهدفت علماء الدرعية بصنوف من التعذيب والاضطهاد تنكيلًا بهم وانتهاكًا لقدرهم؛ وذلك لدعمهم قادة الدولة السعودية الأولى، ودورهم في نشر العلم وإثراء الحياة العلمية والدينية، وتنقية العقيدة الصحيحة، فتعرض العلماء لمحن قاسية، شملت القتل، والنفي، والسجن، والتعذيب في محاولة للقضاء على العاصمة الدرعية ومكانتها العلمية والدينية.

الجدير بالذكر أن المحن وصنوف الاضطهاد لم يكن ضمن هجمتهم العسكرية بعد احتلال الدرعية فحسب، بل كانت جزءًا من الصراع السياسي والفكري بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى، لذلك عملت القوات الغازية على الاستهداف المباشر لرموز الدولة السعودية سياسيًا ودينيًا؛ رغبة منها في إضعاف روح المقاومة لدى الأهالي باستهداف تلك الرموز، وللقضاء على جذور الدولة السعودية.

اللافت للانتباه أنه رغم هذه المحن، صمد العلماء ودافعوا عن الدرعية وعن بلدانهم في نجد، وضحى عدد منهم بأرواحهم في سبيل المحافظة على ركائز دولتهم ومكانتها السياسية والدينية وعلى نقاء الدعوة السلفية، أما من نفي منهم فقد حافظوا على رسالتهم الدينية والعلمية في مواطن النفي والتهجير، فكانوا سفراء للدولة السعودية هناك؛ مما ساهم لاحقًا في حملهم راية العلماء عند نشأة الدولة السعودية الثانية بعد سبع سنوات من الفوضى والاضطرابات على يد القوات الغازية.

سيتناول هذا البحث المحن التي طالت العلماء بعد نهاية الدولة السعودية الأولى عام 1233هـ/1818م ، والتي جاءت تبعًا لجهودهم ودورهم في مقاومة القوات الغازية، ولعل الباحثة اختارت التعبير بكلمة المحن لشموليتها في المعنى المراد، فكلمة المحن تعني

كل ما يبتلى به الإنسان من أوجه المعاناة والشدائد المختلفة، سواء كانت جسدية أو نفسية أو اقتصادية، وهو ما أصاب العلماء على يد القوات الغازية.

ويهدف البحث إلى إبراز تلك الحقبة الزمنية وما طال العلماء فيها من محن واضطهاد، وإبراز شجاعتهم وثباتهم في المحافظة على دولتهم ومنهجهم الديني، وولائهم السياسي للدولة السعودية. واعتمد البحث في سرد تلك الأحداث على المنهج الوصفي التاريخي.

وسوف يجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

- كيف كانت مكانة العلماء لدى أئمة الدولة السعودية الأولى؟
- لماذا قام العلماء بمقاومة القوات الغازية والدفاع عن دولتهم؟
- ما المحن التي طالت العلماء بعد احتلال الدرعية؟
- ما نتائج الممارسات القاسية للقوات الغازية على العلم والعلماء؟
- هل توقفت جهود العلماء في بناء الحكم السعودي بعد تلك المحن؟

وللإجابة عن تلك التساؤلات، وحتى تتضح سمات تلك الحقبة والمحن التي طالت العلماء بعد نهاية الدولة السعودية الأولى، تم تتبع تلك الحوادث في ثنايا الكتب.

أولًا: منزلة العلماء ودورهم في الدفاع عن الدولة السعودية الأولى:

• العناية بالعلم والعلماء:

اهتم أئمة الدولة السعودية الأولى بالعلم وأهله وخاصة العلوم الشرعية، وكانوا القدوة في ذلك لأتباعهم ومواطنيهم، فحرصوا على حضور مجالس العلماء في حلهم وترحالهم، ولم تشغلهم مهام الحكم ومسؤوليات السلطة عن تشجيع العلم وتقدير العلماء [1]، الجدير بالذكر أن المجالس العلمية التي أقامها أئمة الدولة السعودية، كانت عامرة بالعلماء وطلبة العلم من أهالي الدرعية ومن أبناء الإمام وخواصه والمناطق المجاورة ، حتى أن بعض طلبة العلم كانوا يقدمون من البلدان المجاورة، كالعراق والشام وغيرها[2]، وكانت هذه المجالس تعقد على ثلاث فترات في اليوم، مما يظهر حجم الحراك العلمي القائم في الدرعية آنذاك، ومدى حرص أئمة الدولة السعودية على تعميق وتطوير هذا الحراك العلمي واستدامته، ولم يحرص الأئمة السعوديون على الحضور فحسب بل كان حضورًا ومشاركة فكثيرًا ما كانوا يشاركون في المجالس بالمناظرة والنقاش، و ذكر ابن بشر أن الإمام سعود بن عبدالعزيز بعد انتهاء الدرس كان "يشرع في الكلام على تلك القراءة ويحقق كلام العلماء والمفسرين فيأتي بكل عبارة فائقة وإشارة رائقة..."[3].

ولم تكن المجالس العلمية تعقد في أيام السلم فحسب، بل إن من عناية أئمة الدولة السعودية بالعلم أن كانوا يصطحبون معهم في حروبهم بعضًا من العلماء، ويعقدوا مجالس العلم للجنود، ويحضر هذه المجالس العلمية الإمام الذي كان عادة يقود تلك المعارك، وكأن أفئدتهم جميعًا تعلقت بالدرس والعلم سلمًا وحربًا[4].

يمكن القول إن الدولة السعودية الأولى هي دولة تعليمية في جوهرها، إذ ارتكزت على التعليم الديني ونشر العقيدة السلفية، مع اتكائها على عوامل مساندة ساهمت في ازدهار الحركة العلمية بها، من أهمها: رعاية أئمة الدولة السعودية وتشجيعهم للعلم

والعلماء، وإنفاقهم بسخاء على العلماء وطلبة العلم وتقديم المكافآت المجزية لهم، علاوة على إيقاف الأوقاف خدمة للعلم وأهله، ومن العوامل الأخرى كذلك هجرة العلماء إلى الدرعية وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقدوم طلبة العلم إليها لينهلوا من علماء الدرعية[5].

كان العلماء يمثلون إحدى ركائز منظومة الإدارة في الدولة السعودية الأولى؛ حيث ساهموا في إدارة الشؤون الدينية والقضائية والتعليمية، فتولوا القضاء، والإفتاء، والتعليم، وقد عرف أئمةُ الدولة السعودية الأولى ما للعلماء من مكانة جليلة؛ فرفعوا شأنهم وصانوا قدرهم، ومن ذلك أن الإمام محمد بن سعود عندما علم بقدوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدرعية ذهب إليه في مكان إقامته لدى أحمد بن سويلم فرحب به وأكرمه[6].

وفي السياق ذاته حينما ضم الإمام سعود بن عبد العزيز منطقة الحجاز، وجد بها الشيخ أحمد بن حسن الحنبلي[7]، وكان معارضًا للدولة السعودية وناصبها العداء، ومع ذلك أكرمه الإمام سعود، ورفع قدره وقربه، فأصبح من أشد المؤيدين للدولة السعودية، ثم ولاه القضاء[8].

- **دور العلماء في الدفاع عن الدولة السعودية الأولى:**

زحفت قوات إبراهيم باشا[9] إلى نجد، بهدف القضاء على الدولة السعودية الأولى، فحاصرت الدرعية عام 1233هـ/ 1818م، واستبسل الإمام عبد الله بن سعود، وأهالي الدرعية في الدفاع عن مدينتهم، وكان العلماء في طليعة القوات المدافعة عن الدرعية وبذلوا كباقي السعوديين كل غال ونفيس في سبيل الدفاع عن دولتهم.

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا: لماذا استبسل أولئك العلماء في الدفاع عن دولتهم رغم أنهم أهل للعلم وليس للسيف؟

يمكن القول إن مرد ذلك يعود لعدة أسباب منها إخلاص أولئك العلماء لدولتهم، وولائهم العميق لها، واستشعارهم بمكانتها الدينية والسياسية، إضافة إلى إدراك العلماء لصحة معتقداتهم الدينية، وثباتهم العلمي المنبثق من العقيدة الصحيحة، ومنهج السلف الصالح في الذود عن الدين، والنفس، والأهل، والأرض، والمال ضد المعتدين، علاوة على ذلك فإن العلماء لمسوا قيمة الأمن والأمان والعدل والاستقرار الذي كانوا ينعمون بكنفه في ظل الدولة السعودية الأولى فحاربوا لاستمرار تلك القيم، ومن ناحية أخرى فإن القوات الغازية كانت تمارس المنكرات والمحظورات الشرعية جهرة[10]، علاوة على الظلم والقمع الذي مارسوه ضد الأهالي؛ مما عمق من يقين العلماء بصحة منهجهم وفساد توجهات الغزاة السياسية والفكرية وضرورة محاربتهم .

الجدير بالذكر أن مشاركة العلماء الحربية في الدفاع عن دولتهم كانت تتمثل في شقين: مشاركة معنوية، ومشاركة حربية؛ حيث عمل أولئك العلماء على بث روح الجهاد والحماس في نفوس أهالي الدرعية، وتشجيعهم على الصمود والثبات أمام العدو، علاوة على مشاركتهم الحربية، فلم يعتزل أولئك العلماء ساحات الحرب بل كانوا جزءًا من نسيج المدافعين عن الدرعية، وكان دفاعهم عن بلادهم وعقيدتهم هو المحرك الرئيس لهم، وكان على رأس العلماء المحاربين الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، فعلى الرغم من تقدمه في السن وجلال قدره وعلو منزلته، إلا أنه انضم لصفوف المدافعين عن الدرعية، ورابط في أحد المواقع الدفاعية بالقرب من باب البجيري، وقال حينها كلمته المشهورة: "بطن الأرض على عز خير من ظهرها على ذل" حتى أصبحت هذه العبارة شعار المدافعين، ورددوها اقتداء به[11]. كان للعلماء من أبناء وأحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دور بارز في

الدفاع عن الدرعية منهم الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب، وعلي بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

ومن أبرز العلماء المدافعين عن الدولة السعودية الأولى كذلك الشيخ محمد بن حمد البسام الذي شهد معركة وادي الصفراء[12]. عندما تقابلت القوات الغازية مع القوات السعودية عام 1226هـ/1812م، والتي انتصرت فيها القوات السعودية بقيادة الإمام عبد الله بن سعود وأجبرت قوات طوسون[13] باشا على التراجع نحو ينبع[14]، ولم تقتصر مشاركة الشيخ البسام على هذه المعركة، بل كان ضمن العلماء الذين دافعوا عن الدرعية وحينما سقطت الدرعية عام 1233هـ/1818م، اضطر الشيخ محمد بن حمد البسام إلى العودة إلى بلدته[15] ثادق[16].

وكان من العلماء المدافعين كذلك الشيخ علي بن حمد العريني الذي كان قاضيًا في الخرج، وعندما زحفت القوات الغازية لمحاصرة الدرعية دخلها الشيخ العريني واستبسل مع أهلها في الدفاع عنها، وعندما سقطت الدرعية بيد إبراهيم باشا ناصبهم العداء وجاهر ببغضهم فقتل على يد إبراهيم باشا[17].

وعلى الصعيد ذاته، كان من المدافعين عن الدولة السعودية الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن مشرف، الذي لقي حتفه في ساحة المعارك، فعندما اندلعت المواجهة الأولى بين الجيش السعودي بقيادة الإمام عبد الله بن سعود، والقوات الغازية بقيادة إبراهيم باشا في الماوية[18]، بالقرب من الحناكية، وذلك في 15 جمادى الآخرة عام 1232هـ/ 1 مايو 1817م، ومع احتدام القتال، انهزم الجيش السعودي وسقط العديد من القتلى، وكان من بينهم الشيخ إبراهيم بن حمد، الذي نال شرف الشهادة في سبيل الدفاع عن عقيدته ودولته[19].

وعلى صعيد آخر فمن العلماء من جاهد القوات الغازية وقائدهم بالقول والبيان، ولم يخش في الله لومة لائم، ولعل من أبرز ما سُجل في ذلك الموقف الشجاع للشيخ عبد العزيز بن عبد الله الحصين الذي كان قاضيًا في الوشم[20]، فقد أحضر الجنود الغزاة الحصين للمثول أمام قائدهم إبراهيم باشا، فسأله: "ما تقول فيَّ أيها العجوز؟"، فأجابه الشيخ بكل جرأة وثقة: "إنك غاشية من عذاب الله سلطك الله علينا بسبب ذنوبنا، أما تخاف الله وتخشى عقوبته يوم الوقوف بين يديه؟ اسلك طريق العفو فمن عفا وأصلح فأجره على الله" فصدم إبراهيم باشا من رد الشيخ فصرفه قائلًا: "عفونا عنك يا عجوز" [21].

وفي السياق ذاته عندما انتشرت أخبار ضد أهل شقراء[22] بأنهم يتفقون سرًا مع أهل الدرعية لمحاربة إبراهيم باشا، وأنهم يتسللون من بلدتهم إلى الدرعية للانضمام للمقاومة هناك، غضب إبراهيم الباشا، وأراد أن ينكل بهم، فاقتحم شقراء، وقبض على أميرها حمد بن يحيى بن غيهب، الذي كان جريحًا من المقاومة، و أرسل في طلب الشيخ عبد العزيز الحصين، الذي كان قد كبر في السن وثقل عليه المشي، فجيء به محمولًا، واتهم إبراهيم باشا أهل البلدة بالخيانة، وأراد أن يفتك بهم، فقال له الشيخ عبد العزيز: "يا إبراهيم من عفا وأصلح فأجره على الله"، وغضب إبراهيم باشا لأن الشيخ الحصين ناداه باسمه، وسخر منه وقلد لهجته بنطق إبراهيم، فرد الشيخ قائلًا: "إن الله تعالى يخاطب أنبياءه بأسمائهم المجردة"، فخجل الباشا، وأمر بالإفراج عنهم وقال: "عفونا يا عجوز عفونا يا عجوز"[23].

وممن قاوم الحملة الغازية الشيخ قرناس بن عبد الرحمن بن قرناس، الذي كان قاضيًا على الرس أثناء حصار إبراهيم باشا لها، فاستبسل مع أهالي الرس في الدفاع عن بلدتهم وكان يبث الحماس في نفوس المدافعين للمقاومة والصمود.

وسجل الشاعر الشيخ أحمد بن على بن دعيج، ملامح تلك المقاومة ودور الشيخ قرناس في الأبيات التالية:

وشب نار الحرب فوق الرس	ثلث السنة بضربهم بالقبس
رجال صدق في اللقاء والباس	أعيانهم وشيخهم قرناس
فسادهم مفتديا بكل فن	فنعم أهل الرس وطوه الرس[24]

مكث الشيخ قرناس في الدفاع عن بلدته الرس مع المقاتلين حتى اضطر إبراهيم باشا، إلى عقد الصلح معهم وغادر الرس 1232هـ/1817م، وعندما تمكنت القوات الغازية من السيطرة على الدرعية وإخضاع إقليم القصيم اضطر الشيخ قرناس إلى الرحيل عنها، وكان يختبئ في غار أصبح يعرف فيما بعد "بغار قرناس"، ولما غادرت القوات الغازية نجد، عاد الشيخ قرناس إلى بلدته، وحينما نجح الإمام تركي بن عبد الله، مؤسس الدولة السعودية الثانية "1240-1249هـ/ 1824-1834م" في إعادة الحكم السعودي أصبح الشيخ قاضيًا لإقليم القصيم كاملًا[25].

ثانيًا: محن العلماء بعد نهاية الدولة السعودية الأولى:

عانى العلماء بعد سيطرة القوات الغازية على الدرعية من محن عديدة، ولعل الباحثة اختارت التعبير بكلمة المحن لشموليتها في المعنى المراد، فكلمة المحن تعني كل ما يبتلى به الإنسان من أوجه المعاناة والشدائد المختلفة، سواء كانت جسدية، أو نفسية، أو اقتصادية[26]، وهو ما أصاب العلماء على يد القوات الغازية، إذ إن تلك القوات لم تكتف بالسيطرة على الدرعية، وإنهاء الحكم السعودي، ونفي الإمام عبد الله بن سعود، بل قامت بما يسمى اليوم بجرائم حرب[27]، فقتلت، وعذبت، ونكّلت بأهالي الدرعية، ودمرت دورهم، وأحرقت مزارعهم، وكان العلماء أشد من عاني في ذلك، ويمكن القول إن المحن والقمع الذي وجده العلماء من القوات الغازية كان مقصودًا وذلك لعدة أسباب منها: رغبة الغزاة في التخلص من رموز المقاومة والقدوة لدى السعوديين، فالعلماء وهم على رأس الهرم المجتمعي هم القدوة في المقاومة حيث كانوا –كما سبق وأشرنا – في طليعة المدافعين عن بلادهم، وانخرطوا في صفوف الجنود استبسالا وولاء لقادتهم، الأمر الآخر إدراك القوات الغازية عمق ولاء وإخلاص أولئك العلماء لدولتهم ولأئمتهم من أسرة آل سعود، والذي لا يمكن تغييره أو توجيهه لصالحهم؛ لذا فالتخلص منهم كان مطلبًا سياسيًا ، علاوة على أنه من الأسباب التي كانت خلف نفي العلماء السعوديين لمصر إدراكهم لمنزلتهم وعلو مكانتهم العلمية وتبحرهم في العلم الشرعي بكافة فروعه؛ لذا تم نفيهم إلى مصر للاستفادة من خبراتهم العلمية، ويمكن حصر المحن التي تعرض لها العلماء فيما يلي:

١- قتل العلماء وتعذيبهم.

٢- نفي العلماء وذويهم.

٣- هجرة العلماء.

٤-تدمير المكتبات وحرق مؤلفات العلماء ومخطوطاتهم.

1–قتل العلماء وتعذيبهم:

بعد حصار عنيف ومقاومة باسلة وشجاعة من أهالي الدرعية، ومواجهات دامية استمرت لمدة ستة أشهر، بذل فيها أهالي الدرعية أرواحهم في سبيل الدفاع عن بلدتهم، قرر الإمام عبد الله بن سعود، أن يضحي بنفسه في سبيل المحافظة على أرواح أهالي الدرعية، وحتى يحافظ على الدرعية من الدمار والخراب، فأرسل لإبراهيم باشا، طالبًا الصلح، وأن يسلم نفسه مقابل أن يأمن أهالي الدرعية على أرواحهم ويعفو عنهم، وألاّ يهدم مدينة الدرعية، فتمّ الأمر لإبراهيم باشا، وأرسل الإمام عبد الله، إلى مصر ليلتقي بمحمد علي باشا، ومكث بها يومين ،ثم أُرسل إلى إسطنبول حيث أعدم هناك[28].

نكث إبراهيم باشا، بوعده للإمام عبد الله، وارتكبت القوات العثمانية جرائم في الدرعية وعاثوا فيها فسادًا، فأحرقوا دورها ودمروا حصونها وأسوارها، وقطعوا نخيلها وأحرقوا مزارعها

وصف الضابط البريطاني جورج سادلير" George Sadleir " دمار الدرعية عند وصوله إليها عام 1233هـ/1818م، بقوله: "وصلنا إلى حطام درعية ... كان الدمار واسعًا جدًا، ويدل على مركز المدينة المدمرة بقايا الأسوار المؤلفة من تراب أصفر...، ولقد محا الباشا أسوار الحصن بشكل كامل، وأتلف مزروعات النخيل والحدائق، لم أشاهد ولو رجلًا واحدًا خلال بحثي عبر الحطام كله"، ويقول في موضع آخر: "دمرت الأسوار والحصون التي كانت تحيط بالمدينة ، كما مُحي عدد من البيوت، فقد كان الباشا مصممًا سلفًا على أن يعامل هذا البلد بوحشية ، وقبل مغادرته أمر بمزروعات النخيل والحدائق أن تتلف، فأتلفت ، ولا يوجد في الوقت الحاضر ولو عائلة واحدة تسكن في بقايا البلدة"[29] .

ونجد وصفًا مشابها لما جرى في الدرعية عند ابن بشر، إذ يقول: "فابتدر العساكر مسرعين، وهدموها وبعضُ أهلها فيها مقيمين، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور، ونفذ فيها القدر المقدور، وأشعلوا في بيوتها النيران، وأخرجوا جميع من كان فيها من السكان، فتركوها خالية من المساكن، كأن لم يكن بها من قديم ساكن، وتفرق أهلها في النواحي والبلدان، وذلك بتقدير الذي كل يوم هو في شان"[30] .

ولسنا هنا في صدد الحديث عن مجريات حصار الدرعية والدمار الواسع الذي حل بها فما تعتني به هذه الدراسة هو المحن التي طالت العلماء تحديدا بعد احتلال الدرعية.

كان العلماء رموزًا حية للعلم والجهاد والذود عن بلادهم بكل غال ونفيس، فطالهم التقتيل والتعذيب المتعمد، حيث نكلت القوات الغازية بأهالي الدرعية وخاصة العلماء وأذاقوهم صنوف العذاب، فسفكوا الدماء وانتهكوا الحرمات ونهبوا الأموال، وقبضوا على أعيانها وعذبوهم، ويصف أمين الريحاني ذلك، بقوله: "أمر بالقبض على بعض الزعماء والعلماء ونكل بهم تنكيلًا شنيعًا، فمنهم من طرحوا مقيدين تحت سنابك الخيل، ومنهم من وضعوا مكبلين عند فوهة المدفع فقطعهم إربًا إربًا، وطير أوصالهم في الفضاء"[31].

وذكر ابن بشر صنوف من القتل مارسته القوات الغازية ضد أهالي الدرعية، فيقول: "فقتل الباشا من أعيان المسلمين عدة رجال، فمنهم من قتل صبرًا بالقرابين والبنادق، ومنهم من جعل في ملفظ القبس والقنبر وصار رصاصة للبارود وطاح في الجو قطعًا"[32]؛ مما يظهر حجم وحشية تلك القوات، وعدم مراعاتها للمبادئ الإنسانية أو حتى لقوانين الحرب.

وممن قتل بهذه الطريقة الوحشية الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني[33]، فمع احتدام المعارك انضم إلى صفوف المدافعين عن الدرعية، وبعد سيطرة إبراهيم باشا على الدرعية استمر في الجهر بعداوته للعثمانيين؛ مما دفع إبراهيم باشا إلى إصدار أمر بقتله بطريقة وحشية حيث وضعه في فوهة المدافع، فقتل رحمه الله عام 1233هـ/1818م، وقد أشار ابن بشر إلى ذلك بقوله: "ومنهم من جُعل في ملفظ القنبر والقبس وصار رصاصة للبارود وطاح في الجو قطعًا، فممن جعل في ملفظ القبس والقنبر علي بن حمد بن راشد العريني قاضي ناحية الخرج، وصالح بن رشيد الحربي من أهل بلدة الرس، وعبد الله بن صقر الحربي من أهل الدرعية"[34].

وقد مارست القوات الغازية أسلوب القتل بعد التعذيب والإذلال، فهذا الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ[35]، الذي استبسل في الدفاع عن الدرعية، ثم وُشي به عند إبراهيم باشا، فاستدعاه إلى مجلسه وأنّبه والشيخ لم يعبأ به "فأحضر إبراهيم بين يديه آلات اللهو من مزامير وأعواد وغيرها ليغيظه بها"، ولكن الشيخ كان صابرًا محتسبًا ، ثم أمر بإعدامه بطريقة وحشية حيث أُخذ إلى المقبرة، وأمر الجنود بإطلاق الرصاص عليه من جميع الاتجاهات؛ مما أدى إلى تمزيق جسده، فجمعوا جسده قطعًا، ليستشهد رحمه الله دفاعًا عن وطنه وعقيدته عام 1233هـ/1818م.

ولم يكتفِ إبراهيم باشا بذلك بل كان يمارس التعذيب النفسي لهؤلاء العلماء بقتل أولادهم وهم أحياء، وفجعهم بهذا المصاب الجلل، بل إمعانا في أذاهم النفسي كان يستدعيهم لمجلسه لإخبارهم بذلك.

فبعد أن قتل الشيخ سليمان، أُحضر والده الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، إلى مجلس إبراهيم باشا، حيث قال له متفاخرًا: " قتلنا ابنك يا عجوز"، فرد عليه الشيخ عبد الله بثبات الأب الصابر بجملة خالدة: "لو لم تقتله لمات"، وقد نالت هذه الكلمة من إبراهيم باشا ما لم تنله السهام فأخذ يرددها ويتأملها، مما يظهر عظم مصاب أولئك العلماء، وعظم صبرهم وتسليمهم لقضاء الله وشجاعتهم في وجه الطغاة[36].

وممن قتل من العلماء بهذه الوحشية ومزقت أجسادهم الشيخ صالح بن رشيد الحربي، أحد علماء الرس الذي تولى القضاء في بلدة الرس حتى وفاته، فقد كان الشيخ صالح الحربي من المدافعين عن الرس، وحينما طال الحصار، إذ بلغ ثلاثة أشهر ونصف أرسله الإمام عبد الله للتفاوض مع إبراهيم باشا لعقد الصلح، فاشترط إبراهيم باشا لعقد الصلح أن يدفع الإمام عبد الله نفقات الحملة كاملة، وأن يدفع رواتب جنوده المتأخرة، وأن يعطيه ألفي حصان وألفين من الجمال، ومؤونة تكفي جيشه لستة أشهر، وأن يقدم له اثنين من أولاده رهينة لديه.

فرد عليه الشيخ صالح بقوله: ما هذا؟ إنك تفاوض سلطان نجد، ولا تخاطب فلاحًا مصريًا، فنقم عليه الباشا وحملها في نفسه، واضطر إبراهيم باشا أمام بسالة المقاومة للتنازل عن شروطه وقبل فك الحصار عن الرس، وألّا يدخلها بقواته مقابل أن يبقوا على الحياد حتى يتقرر مصير عنيزة، وحينما نجح إبراهيم باشا في السيطرة على عنيزة استولى على الرس، فغادرها الشيخ صالح الحربي إلى الدرعية وانضم للمدافعين عنها، وعندما سيطرت القوات الغازية على الدرعية، قبضوا على الشيخ صالح، وقتلوه بوحشية إذ ربط على فوهة المدفع ثم أطلق رصاص المدفع، فتقطع جسمه أوصالًا، وتطاير لحمه في الهواء رحمه الله[37].

وفي إطار القتل المنظم لعلماء الدولة السعودية الأولى، لم يكن الشيخ رشيد السردي النجدي، بمنأى عن بطش القوات الغازية، وكان الشيخ من العلماء الذين تولوا القضاء في الحوطة[38] والحريق[39]، وتميز بشجاعته وثباته في الولاء لدولته لذلك أصدر إبراهيم باشا أوامره بقتله بالبنادق، ليكون شهيدًا آخر ضمن قائمة العلماء الذين طالتهم يد العدوان الغاشم[40].

ومن العلماء كذلك الشيخ إبراهيم بن عبد الله بن أحمد البسيمي، الذي كان قاضيًا لأشيقر[41] ثم أميرًا عليها، وحينما وصلت قوات إبراهيم باشا إلى أشيقر، أثناء تقدمها نحو الدرعية، تعرضت البلدة لحصار شديد من القوات الغازية، استبسل أهلها في الدفاع عنها، ومنهم الشيخ البسيمي، الذي قاوم بشجاعة القوات الغازية، ورفض الاستسلام فقتلته القوات الغازية عام 1233هـ/1818م.

وفي الإطار ذاته، واجه الشيخ عبد الرحمن بن نامي، قاضي الأحساء منذ عام 1223هـ/1808م، المصير ذاته، فعند وصول القوات الغازية الأحساء عام 1234هـ/1818م، تم اعتقاله ومصادرة أمواله، ثم أُعدم [42]، وذكر الفاخري بأن مقتله رحمه الله كان في شهر محرم من عام 1234هـ/ نوفمبر 1234هـ بقوله: "وفيها حُبس عبد الرحمن بن نامي قاضي الأحساء وفي آخر الشهر قُتل"[43].

وعند تدوين تلك المجازر الشرسة نسجل عمق ثبات العلماء أمام قمع وتنكيل القوات الغازية، هذا الثبات النابع من عمق ولائهم لعقيديتهم وبلادهم، الجدير بالذكر أن ثبات العلماء وشجاعتهم في وجه إبراهيم باشا وقواته لفتت نظر إبراهيم باشا فحينما عاد إلى القاهرة بعد حرب الدرعية جاءه العلماء وشيوخ الأزهر مهنئين، فلم يلتفت إليهم، ولم يهتم بهم، وحين سُئل عن ذلك قال: العلماء الحقيقيون هم في صحاري نجد، لِمَا رأى من إيمانهم وثباتهم[44].

ويندرج ضمن تلك الفواجع مصادرة الأموال وإتلاف الممتلكات، والتي بلغ وجعها النفسي مدى واسعًا أدت بالبعض إلى الوفاة من شدة المصاب كما حدث مع الشيخ عبد العزيز بن رشيد بن زامل آل حصنان، والذي كان يتولى القضاء والإفتاء في الرس، وخلال الحملة العثمانية على الرس في شعبان 1232هـ/ يونيو 1817م كان من نخبة العلماء التي شاركت في مقاومة حملة إبراهيم باشا فدافع عن بلدته مع أهلها ببسالة، ولما عجز إبراهيم باشا في الاستيلاء على البلدة بالحرب، قطع بعض الأشجار والنخيل ودمر البساتين المملوكة لأهلها، وكان فيما دمّر وأتلف بستان رغيد للشيخ عبدالعزيز آل حصنان يقال له" الرويضة" وتألم الشيخ من هذه الفاجعة وتوفي 1232هـ/1817م.[45]

يمكن القول بأن القوات الغازية ارتكبت سلسلة من الإعدامات الجماعية، أوما يسمى اليوم بجرائم الحرب، فمع استسلام أهالي الدرعية إلا أنها نكلت بهم بصورة وحشية منظمة طالت الجميع. وتصاعدت عمليات القتل الوحشي بحق العلماء الذين ثبتوا على مواقفهم في الدفاع عن بلادهم، حيث لم تتوانَ القوات العثمانية عن تصفيتهم جسديًا في محاولتها للقضاء عليهم للتخلص من مقاومتهم ولمحو آثارهم العلمية؛ مما يظهر قسوة وعنف الغزاة وعدم مراعاتهم للمبادئ الإنسانية ولا لقوانين الحرب والفروسية.

2–نفي العلماء وذويهم:

لجأت السلطات العثمانية إلى نفي عدد من كبار العلماء إلى مصر، ولتحليل مبررات القوات الغازية في هذا الإجراء، يمكن القول إنها هدفت بنفيهم إضعاف المقاومة لدى الأهالي، وتقليل تأثير العلماء عليهم، وعزلهم عن مجتمعهم، علاوة على ما في ذلك من الاضطهاد النفسي والجسدي لهم، ومن جانب آخر فإن محمد علي باشا، والدولة العثمانية أدركوا مكانة العلماء السعوديين ووعيهم العلمي والديني الواسع، لذلك كانت تلك القوات تعتبرهم كغنائم نفيسة لهجماتها الغاشمة على الدولة السعودية الأولى فحرصت على الاستحواذ على عدد منهم.

وممن نفاهم إبراهيم باشا، الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب والد الشيخ سليمان –الذي سبق ذكر مقتله على يد القوات الغازية–، حيث نفي الشيخ عبد الله إلى القاهرة[46]، وخلال فترة نفيه، عاش في عزلة تامة بعيدًا عن وطنه ومجتمعه العلمي، إذ لم يحظ بالتقدير الذي يستحقه وتوفي في منفاه[47]، فكان وجوده في مصر بهدف تحجيم نشاطه الفكري والعلمي.

ولم يكن الشيخ عبد الله وحده في منفاه، بل نُفي معه أيضًا ابنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله آل الشيخ، الذي كان عند حصار الدرعية في الرابعة عشرة من عمره، وبعد نفيه إلى مصر برفقة والده لازم علماء الأزهر، ودرس على يد كبار العلماء، وعلى رأسهم والده وعمه عبد الرحمن بن حسن، حتى أصبح من أبرز مشايخ الحنابلة في الأزهر، وتولى التدريس في رواق الحنابلة، وبقي الشيخ في مصر حتى وفاته بالقاهرة عام 1274هـ/1858م[48].

وممن تم نفيه لمصر كذلك الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الرحمن صاحب الإمام عبد الله بن سعود في وقعة وادي الصفراء — سبق ذكرها– التي هزم فيها طوسون هزيمة منكرة وبعد هذه الوقعة استمر الشيخ في المرابطة مع المدافعين عن الدرعية، وحينما سيطر عليها إبراهيم باشا نفاه إلى مصر، ومعه زوجته وابنه الشيخ عبد اللطيف– سيأتي ذكره– فبقي فيها غريبًا منعزلًا، وشكا وجده وشوقه لوطنه في قصيدة قال فيها:

تخطت إلينا حين عنّ لها الوصل ... مفاوز نجد كلما انخفضت تعلو

غزال كمياس الغصون تمايلًا ... وقد أكملت فيها الملاحة والدل

أناخت إلينا حين إدراكنا المني ... لعشر مضت من بعدها أربع تتلو

فلمت وحيت ثم بشت وأسفرت ... عن الورد والياقوت واللؤلؤ المجلو

فقلت لها أهلًا وسهلًا ومرحبًا ... سلام عليكم دائمًا أبدًا يحلو

ألذ وأحلى من زلال على الظما ... وأبهى من الروض الذي صابه الوبل

لأنكم أهل المكارم والوفا ... بكم قد سما فرع الفضائل والأصل

ينبئنا من فكره بلآلـيء ... من الجوهر المنظوم عز له المثل

وذكرتني يا ابن الإمامين معشرًا ... هم الفتية الأنجاب والأوجه النبل

صحبناهم دهـرًا نعمنا بظله ... علينا غمـام بالغـنائـم ينـهل

ولما افترقنا ظل قلبي بأرضكم ... وجسمي بأرض ليس فيها لنا شكل

وبدلت منكم أوجهًا لا تسرني ... سوى عصبة قلوا فكنت بهم أسلو

فيا لهف نفسي واشتياقي ولوعتي ... على أنجم غابت فغاب بها العدل

فصبرًا على بعد المدى واغترابنا ... عسى من إله الحق أن يجمع الشمل

فيبدو محيا الدين بالنور ساطعًا ... ويرجع عقد الشرك والظلم ينحل[49]

وتظهر هذه الأبيات ما كان يقاسيه الشيخ من وحدة وشوق لنجد وأهلها.

وحينما استقر الشيخ في القاهرة عاوده الحنين لطلب العلم، حيث يجد الغريب سلوته في مجالسة العلماء ومنادمة الكتب والنهل من علومها، وكانت الأجواء في القاهرة مهيئة لطلب العلم، فالأزهر مليء بالعلماء والكتب متوافرة، فاكّب الشيخ عبد الرحمن بن حسن على طلب العلم وتفرغ لتحصيله وشغل وقته بالتزود منه، فضم إلى علومه علومًا أخرى وبقي ثمان سنوات بمصر.

وحينما تمكن الإمام تركي بن عبد الله من إعادة الحكم السعودي كاتب العلماء المنفيين في مصر، وعلى رأسهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ للعودة، فاستبشر الشيخ عبد الرحمن بذلك وصمم على مغادرة مصر والعودة إلى نجد، وفرح الإمام تركي بقدومه وأكرمه وقربه، وكان ساعده الأيمن في إدارة الشؤون الدينية في البلاد، وبقي الشيخ يدير مهامه الدينية وأطال الله في عمره حتى توفي عام 1285هـ/1868م[50].

وقد تعرض ابنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن، للنفي كذلك إلى مصر فنفي مع والده وهو يبلغ من العمر ثماني سنوات، التحق الشيخ عبد اللطيف في منفاه بالأزهر، ونهل من مختلف العلوم الشرعية، حيث تتلمذ على يد نخبة من كبار العلماء فيه، وحين عاد والده إلى نجد مكث الشيخ عبد اللطيف بمصر يكمل تعليمه ويتزود من شيوخه، حتى تعلم وبرع وسطع نجمه في الأزهر، وكان واسع الاطلاع في الفقه والحديث والتفسير، ثم قرر العودة إلى نجد ومر بالحجاز وعند وصوله إلى مكة استقبله أميرها الشريف محمد بن عون بالحفاوة والتكريم، وطلب منه البقاء في الحجاز إلا أن الشيخ عبداللطيف، فضّل العودة إلى نجد، فعاد إليها بعد نفي وغربة امتدت إلى 31 عامًا، حيث وصل الشيخ عبد اللطيف إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي، الذي أكرمه وأجّله، وجلس لتدريس طلبة العلم فذاع صيته وتوسعت مداركه، وقربه الإمام فيصل، وبعثه إلى الأحساء لتعليم الناس وإرشادهم، ومكث بها سنتين ثم عاد إلى الرياض، وكانت له حظوة لدى الإمام فيصل، إذ كان مستشاره الأمين، كما كان يشارك معه في بعض معاركه، استمر الشيخ عبد اللطيف في التدريس وتعليم طلبة العلم في الجامع الكبير حتى وفاته عام 1293هـ/1876م[51].

وفي السياق ذاته، كان ممن نفي إلى مصر الشيخ علي بن محمد بن عبد الوهاب، الذي تم نفيه مع عدد من أفراد آل الشيخ وآل سعود وبقي تحت الحراسة، ورغم ذلك فاق شغفه للعلم والتعليم قسوة النفي، فالتحق بالأزهر ونهل من علومه وانصرف للتدريس والعلم، على الرغم من كبر سنه ومكث على هذا الحال حتى وفاته في القاهرة عام 1245هـ/ 1829م[52].

ومن العلماء الذين واجهوا قسوة التعذيب ومرارة التهجير الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، الذي كان قاضيًا للمدينة المنورة في عهد الإمام عبد الله بن سعود، وكان يتردد بمساعي الصلح بين الطرفين، ولامه إبراهيم باشا، في الخروج من المدينة المنورة والانضمام للإمام عبد الله، وعرض عليه أن يرده إلى المدينة، فأبى وقال: لا أفارقهم إلا إذا غلبوا، فغضب إبراهيم باشا من رده وأسرّها في نفسه رغبة في التنكيل بالشيخ حينما يظفر به، وعندما سيطر على الدرعية قبض على الشيخ أحمد، وعذبه بأنواع العذاب، وعزر بالضرب، وأمر بقلع جميع أسنانه في واحدة من أقسى صور القمع والإهانة التي طالت العلماء[53]، ومع ذلك، لم يكن مصيره القتل كما حدث مع غيره، فقد كان الشيخ أحمد، بحكم توليه قضاء المدينة قبيل حكم الدولة السعودية الأولى يكاتب ويخاطب وزراء البلاط العثماني، فكان معروفًا لديهم، ويذكر ابن حميد في كتابه السحب الوابلة "ولما أخذ بلادهم أمسكه وعذّبه بأنواع العذاب، فيقال: إن الباشا رأى رؤيا من جهته أزعجته فكف عنه العذاب" ولما سمع محمد علي باشا بما فعله إبراهيم باشا، لم يرض عنه لأن الشيخ أحمد، كان مجاورًا بالمدينة المنورة ومعروفًا بالعلم والعقل لدى الحكومة العثمانية، فطلب من ابنه أن يرسله

إلى مصر فتم نفي الشيخ أحمد الحنبلي إلى مصر، وإدراكًا من محمد علي باشا لمكانته العلمية أكرمه ورتب له رواتب جزيلة، وعينه شيخًا للمذهب الحنبلي في الأزهر للاستفادة من علمه وفقهه، كما كلفه بتدريس بعض أبنائه ومماليكه في قلعة محمد علي، فضلًا عن تدريسه في الأزهر، وأصبح أحد أبرز علماء المذهب الحنبلي في مصر، وظل في منصبه حتى وفاته عام 1257هـ/ 1841م[54].

٣–هجرة العلماء:

لم يكن التهجير والنفي القسري هو محنة علماء الدرعية فحسب بل إن بطش القوات الغازية وتنكيلها بأهالي الدرعية دفع بالكثير منهم إلى الهجرة والرحيل عن وطنهم رغمًا عنهم خوفًا من بطش الحملة العثمانية، فتوجه بعضهم إلى رأس الخيمة، والبعض توجه إلى عمان أو قطر، فاستقروا فيها فترة، وكثير من هؤلاء رجعوا مرة أخرى إلى نجد بعد أن تمكن الإمام تركي بن عبد الله من تأسيس الحكم السعودي في طوره الثاني عام 1240هـ/ 1824م؛ مما يؤكد عمق ولاء العلماء وأهالي الدرعية للأسرة السعودية ورغبتهم في إعادة إحياء الحكم السعودي.

وممن رحل من الدرعية بعد اجتياح القوات الغازية الشيخ عبد الله بن أحمد بن محمد الوهيبي، الذي كان ممن انتقل إلى الدرعية واستقر بها لطلب العلم، وبلغ فيه شأنًا فتولى القضاء في الدرعية، وبعد سيطرة إبراهيم باشا، وتنكيله بالعلماء هرب الشيخ عبد الله إلى رأس الخيمة، حيث استقر هناك لفترة من الزمن بعيدًا عن بطش إبراهيم باشا، وحينما نجح الإمام تركي بن عبد الله، في إعادة الحكم السعودي عاد الشيخ الوهيبي لنجد، وبعد ضم الأحساء عينه الإمام تركي قاضيًا على الأحساء وبقي قاضيًا عليها حتى وفاته عام 1263هـ/1847م[55].

وفي السياق ذاته، واجه الشيخ علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ، مصيرًا مماثلًا، إذ كان من علماء الدرعية وتولى القضاء فيها قبل اجتياح القوات الغازية، ومع تصاعد عمليات القتل والتنكيل بالعلماء، اضطر الشيخ علي، للرحيل إلى رأس الخيمة وبعد الحملة البريطانية على القواسم عام 1234هـ/ 1819م، غادر رأس الخيمة وتوجه إلى قطر، وحينما عاد الحكم السعودي في طوره الثاني رجع الشيخ علي، إلى نجد وعينه الإمام تركي بن عبد الله، قاضيًا في حوطة بن تميم ثم عينه قاضيًا في الرياض ومكث بها حتي وفاته عام 1257هـ/1841م[56].

وممن هاجر من الدرعية فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التي تتلمذت على يد والدها وأخوتها، فتعلمت القراءة والكتابة وتفقهت في زمن بلغت فيه الدرعية أزهى عصورها العلمية[57]، حتى كانت فاطمة تعلم النساء والرجال وتجعل بينها وبينهم ستارًا، وحينما اجتاحت القوات الغازية الدرعية هاجرت فاطمة مع ابن أخيها الشيخ علي بن الحسين –السابق ذكره– إلى رأس الخيمة، وعندما تعرضت رأس الخيمة للحملة البريطانية الثالثة عام 1234هـ/ 1819م، هاجرت مرة أخرى مع ابن أخيها إلى قطر؛ لذلك سميت بصاحبة الهجرتين: لهجرتها الأولى إلى رأس الخيمة، ثم الثانية إلى قطر، وبعد طرد الإمام تركي بن عبد الله، للقوات الغازية، وإعادة الحكم السعودي، عادت فاطمة مع ابن أخيها الشيخ علي واستقرت في الرياض [58].

وفي السياق ذاته، كان ممن فر من الدرعية بحثًا عن ملاذ آمن الشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر، الذي كان أحد قضاة الدرعية، وكان أديبًا وشاعرًا وله شعر جزل ورقيق، وبعد سيطرة إبراهيم باشا، على الدرعية وتنكيله بالعلماء رحل الشيخ عبد العزيز إلى البحرين، والجدير بالذكر أنه أثناء إقامة الشيخ عبد العزيز في البحرين، قدم قسيس إنجليزي ومعه كتاب فيه شبهات ملفقة حول الدين الإسلامي، وطلب من شيخ البحرين عبد الله بن أحمد آل خليفة، عرْضه على العلماء للرد عليه، فقام أمير البحرين بعرض

هذا الكتاب على علماء البحرين فاعتذروا عن الرد، ثم بعث الكتاب إلى علماء الأحساء فاعتذروا كذلك، فاغتمّ الشيخ عبد الله آل خليفة لذلك، عندها أشار عليه أحد جلسائه بأن يعرض كتاب القسيس على عالم قادم من نجد يدعي الشيخ عبد العزيز بن معمر، فأرسل إليه الكتاب، وتفحصه الشيخ عبدالعزيز، وطلب مهلة شهرًا؛ للرد عليه، فكتب الشيخ ردًا علميًا نال إعجاب الشيخ عبد الله آل خليفة، وسُر به، فأرسل الرد إلى القسيس الإنجليزي الذي دهش من قوة الحجة وسداد الرد وقال: "لا يخرج هذا الرد من علماء هذه البلاد، ولابد أن يكون من نجد فقال له الحاكم: نعم هذا جواب أحد طلبة العلم النجديين"[59].

كان الشيخ عبد العزيز يتألم لرحيله وشدة حنيه ولوعته على دياره وأهلها، وصار يكاتب زملاءه الذين نفوا إلى مصر، ويشكوا لهم شوقه إليهم وعلى الأيام الخوالي في الدرعية، ويرثي الدرعية في أشعاره وقصائده، ويصف لوعته وحزنه على دمارها ورحيل أهلها ومما قاله فيها:

ذكرتكم يا أهل ودي وقد نأت ... بي الدار لا صحب لدي ولا أهل

لأنكم بدر الديار وشمسها ... وأنكم للساكنين بها الظل

فمذ غبتم عنها تبدل نورها ... ظلامًا وظلمًا عاد بعدها العدل

إذا ما ذكرنا عهد أنس فإنما ... يبادرنا دمع من العين منهل

وما عرض الدنيا أبكي وإنه ... لأهون مفقود لدى من له عقل

ولكن أبكي العلم والحلم والحما ... وقهر العِدا للحق إذ سيفه يعلو

وأبكي على عِقد تناثر نظمه ... شيوخ وإخوان شبابهم كهل

وللعلم روضات تفتح زهرها ... خمائلها للسائلين بها حل

أقمنا جميعا في أمان وغبطة ... وللسحب بالخيرات من فوقنا وبل

وقد أصبحت قفرًا وأصبح أهلها ... وعقدهم بعد التآلف منسل

فمذ شطر أصحابي تمثلت منشدًا ... بقول بليغ في البيان له فضل

أحبابنا ما أوحش الأرض بعدكم ... علينا لقد ضاقت بأربابها السبل [60].

وكان ومن أقرب ندمائه الذين تاقت نفسه إليهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن الذي سبق ذكر نفيه إلى مصر فكان الشيخ عبد العزيز يراسله ومن أشهر قصائده قصيدة " الطنانة" قال فيها:

إليك إله العرش أشكو تضرعًا ... وأدعوك في الضراء ربي لتسمعا

فكم دمروا من مربع كان آهلًا ... فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا

وفر من الأوطان من كان قاطنًا ... وفرق إلف كان مجتمعًا معا

مضوا وانقضت أيامهم حين أوردوا ... ثناء وذكرًا طيبه قد تضوعا

فإن كانت الأشباح منا تباعدت ... فإن لأرواح المحبين مجمعا

ورد عليه الشيخ عبد الرحمن بن حسن، عليه بالأبيات التالية:

أبا حسن ذكرتنا العهد والإخاء	وعصرًا مضى والشمل بالخير جامع
زمان اصطحبنا في أمان وغبطة	وللدين والدنيا لدينا مواضع
بنود ذوي الإسلام تخفق أينما	توجهت الرايات فالنصر تابع
فتحت به النعما وحق لنا الهنا	وقامت به فيما لدينا الشرائع
ولسنا نبري النفس من أمر سوئها	ولولاه ما حلت علينا الفجائع
فإن حالت الأحوال عما عهدتها	وصار من الأعدا الصديق المشائع
وبث عنان الخلق في الأرض بغيهم	وراعت قلوب المؤمنين الروائع
فصالحة العقبي لكل موحد	وإن زعزعته النائبات الزعازع

وبعد هدوء الأوضاع عاد إلى نجد ومكث بها فترة إلا أن الشيخ عبد الله آل خليفة أمير البحرين ألح عليه في العودة إلى البحرين لتعليم الناس بها، فلبى طلبه واصطحب أسرته وغادر مجددًا إلى البحرين وكان له مجلس عند آل خليفة ومكانه مرموقة لديهم، ومكث بها حتى وفاته في عام 1244هـ/1828م[61].

كذلك ممن اضطر إلى الرحيل من نجد الشيخ فارس بن حمد بن محمد بن رميح، حيث انتقل من بلدته العطار[62]، متوجهًا إلى الدرعية في مطلع شبابه لطلب العلماء ومجالسة العلماء، فبلغ في ذلك شأنًا عظيمًا، وأصبح من أشهر العلماء في الدرعية، وعندما سيطرت القوات الغازية على الدرعية، رحل الشيخ فارس وعاد إلى مسقط رأسه بلدة العطار، ومكث بها إلى أن انجلت الغمّة ونجح الإمام تركي بن عبد الله في طرد الغزاة، فغادر بلدته وتوجه إلى الرياض واستقر بها للتدريس حتى وفاته عام 1285هـ/1868م[63].

وفي السياق ذاته، نشأ الشيخ عبد الله بن سيف، في بلدة ثادق ثم رحل إلى الدرعية لطلب العلم وتلقى تعليمه في الدرعية على يد كبار علمائها وعندما تفقه في العلم، عُين قاضيًا على عنيزة خلفًا لأخيه الشيخ غنيم بن سيف عام 1225هـ/ 1810م، وبعد اجتياح إبراهيم باشا لنجد اضطر إلى الرحيل ولم تذكر المصادر وجهته[64].

ومن العلماء المهاجرين كذلك الشيخ إبراهيم بن سيف[65]، حيث هاجر بعد الحملة الغازية إلى رأس الخيمة ومكث بها فترة، وعندما نجح الإمام تركي بن عبد الله في إعادة الحكم السعودي عاد الشيخ إبراهيم بن سيف، وأكرمه الإمام تركي وعينه قاضيًا في الرياض[66].

ولعل المتأمل في عودة أولئك العلماء إلى نجد بعد عودة الحكم السعودي على يد الإمام تركي بن عبد الله يدرك حجم حنينهم لديارهم ولوعتهم لفراقها، وولائهم لأسرة آل سعود وتأييديهم لحكمها.

4- تدمير المكتبات وحرق مؤلفات العلماء ومخطوطاتهم:

إن من أشد ما يؤلم العالم ويقض مضجعه فقده لمؤلف له أو فقده لكتب ثمينة أضنى حياته في جمعها أو في تأليفها، خاصة في تلك الحقبة التي يصعب فيها النسخ والتدوين لمعطيات ذاك الزمن، ولم تكتفِ الحملة العثمانية الغازية بقتل العلماء ونفيهم وتدمير منازل وحصون الدرعية، بل إنها عملت على تدمير الإرث الحضاري للدولة السعودية، ومحاولة اقتلاع جذوره فلم تسلم المكتبات من التخريب والحرق، إذ كانت هناك العديد من المكتبات في قصور الأمراء من أسرة آل سعود، والعلماء، وأعيان الدرعية، كالمكتبات لدى أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأسرة آل مشرف، وآل محمود، وآل معمر، وآل العدساني، وآل مطلق، وآل عبدالقادر، وآل غنام، وآل كثير، وآل ناصر، وغيرهم، علاوة على عدد من المكتبات لدى بعض الأفراد المهتمين بالعلم ونشره، كمكتبة إبراهيم بن جديد، وإبراهيم بن سعيد، وأحمد بن ضاحي، وغيرهم؛ مما يؤكد ازدهار البيئة العلمية وتطور الحراك الثقافي في مجتمع الدرعية آنذاك[67].

استولت قوات إبراهيم باشا على جميع ما في الدرعية من مقتنيات وسرقت المؤلفات والمخطوطات، وحملها معه عند مغادرته وأثناء وصوله إلى حريملاء[68] ولكثرة ما نهبوا من الكتب والمخطوطات انتقى منها عشرة أحمال وأحرق الباقي لصعوبة حملها جميعًا، وذكر ابن بشر أن الحملات العثمانية التالية كحملة حسين بك " 1236هـ/ 1820م" نهبت كذلك منزل الشيخ عبد العزيز بن سليمان آل الشيخ، ونهبت كتبه، وحملت منها أحمالًا، وأحرقت الباقي في النار[69].

ويمكن تصنيف المخطوطات والكتب التي نهبتها القوات الغازية من نجد إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى نُهبت على يد إبراهيم باشا وقواته: وهي عبارة عن 61 مصحفًا و530 كتابًا، ونقلها معه إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة حيث سلمها لإسماعيل آغا، ناظر الأبنية في المدينة المنورة، ثم طلب توجيه أبيه محمد علي باشا في أمرها، فأرسل محمد علي باشا بدوره إلى الباب العالي يستفسر في شأنها فأمر السلطان العثماني بأن تحفظ الكتب في مكتبة المدرسة المحمودية "الكتبخانة السلطانية" وتوزع المصاحف على القراء في المدينة المنورة.

المجموعة الثانية نُهبت على يد حسين بك وقواته: قدم حسين بك عام 1236هـ/ 1820م وعرف كسابقه بالقسوة والشدة، فدمر وقتل العديد من أهالي نجد، واستولى كذلك على الكتب والمخطوطات فنهب حوالي 342 كتابًا وأحرق بقية الكتب التي لم يتمكن من حملها، ونقل الكتب معه إلى المدينة المنورة حيث صدرت الأوامر السلطانية كذلك بوضعها في مكتبة المدرسة المحمودية وإعداد كشف بأسماء الكتب المنهوبة [70]. وبهذا يكون مجموع المخطوطات التي نهبتها القوات الغازية 872 مجلدًا.

الجدير بالذكر أن بعض الجنود العثمانيين نهبوا عددًا من المخطوطات والكتب واستحوذوا عليها، حيث عدوها من غنائم الحرب كالحلي والمجوهرات وعند وصولهم إلى المدينة المنورة قاموا ببيعها في أسواق المدينة المنورة رغبة في الحصول على الأموال وللتخلص من حملها في طريق عودتهم لمصر، وقد اشترى عدد من علماء المدينة المنورة بعضًا من تلك المخطوطات، ومنها على سبيل المثال محتويات مكتبة الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي – الذي سبق ذكره- حيث استولت القوات الغاشمة على مكتبته وصادرت ما فيها، وممن اشترى بعضًا من هذه الكتب الشيخ محمد بن عابد السندي، ومنها كتاب "الجامع للترمذي" ورسالة في القراءات لعمر بن علي اليافعي.

علاوة على ما سبق فإنه مع محنة التهجير اضطر عدد من علماء نجد ممن صدرت أوامر بترحيلهم إلى مصر لبيع مؤلفاتهم العلمية لعدم قدرتهم على نقلها معهم في طريق رحلتهم القاسية، ولرغبتهم في توفير مورد مالي يعينهم في تدبير أمورهم في ديار الغربة[71].

الخاتمة:

- الدولة السعودية الأولى، دولة تعليمية في جوهرها، إذ ارتكزت على التعليم الديني مع اعتمادها على عوامل مساندة ساهمت في ازدهار الحركة العلمية بها، من أهمها: رعاية أئمة الدولة السعودية وتشجيعهم للعلم والعلماء وإنفاقهم بسخاء على العلماء وطلبة العلم وتقديم المكافآت المجزية لهم، علاوة على إيقاف الأوقاف خدمة للعلم وأهله.
- لم تهدف الحملة الغارية القضاء على الدولة السعودية الأولى فحسب، بل استهدفت كذلك عمقها العلمي والحضاري، واستهدفت العلماء الذين كانوا عماد النهضة العلمية والفكرية في الدولة السعودية.
- يمكن القول إن من أسباب استبسال العلماء ومقاومتهم للقوات الغازية إخلاص أولئك العلماء لدولتهم، وولاءهم العميق لها، واستشعارهم بمكانتها الدينية والسياسية، إضافة إلى إدراك العلماء لصحة معتقداتهم الدينية وثباتهم العلمي المنبثق من العقيدة الصحيحة، ومنهج السلف الصالح في الذود عن الدين والنفس والأهل والأرض والمال ضد المعتدين، علاوة على ذلك فإن العلماء لمسوا قيمة الأمن والأمان والعدل والاستقرار الذي كانوا ينعمون بكنفه في ظل الدولة السعودية الأولى فحاربوا لاستمرار تلك القيم، ومن زاوية أخرى فإن القوات الغازية كانت تمارس المنكرات والمحظورات الشرعية جهرة، علاوة على الظلم والقمع الذي مارسوه ضد الأهالي مما عمق من يقين العلماء بصحة منهجهم وفساد توجهات الغزاة السياسية والفكرية وضرورة محاربتهم .
- إن المحن والقمع الذي وجده العلماء من القوات الغازية كان مقصودًا وذلك لعدة أسباب منها: رغبة الغزاة في التخلص من رموز المقاومة والقدوة لدى السعوديين؛ فالعلماء وهم على رأس الهرم المجتمعي هم القدوة في المقاومة، حيث كانوا في طليعة المدافعين عن بلادهم، وانخرطوا في صفوف الجنود استبسالا وولاء لقادتهم، الأمر الآخر إدراك القوات الغازية لعمق وولاء وإخلاص أولئك العلماء لدولتهم ولأئمتهم من أسرة آل سعود، والذي لا يمكن تغيره أو توجيهه لصالحهم؛ لذا فالتخلص منهم كان مطلبًا سياسيًا ، علاوة على أنه من الأسباب التي كانت خلف نفي العلماء السعوديين لمصر إدراكهم لمنزلة العلماء السعوديين، وعلو مكانتهم العلمية، وتبحرهم في العلم الشرعي بكافة فروعه؛ لذا تم نفيهم لمصر للاستفادة من خبراتهم العلمية .
- إن تلك المحن وصنوف الاضطهاد لم تكن ضمن هجمة الغزاة العسكرية بعد احتلال الدرعية فحسب، بل كانت جزءًا من الصراع السياسي والعقائدي، بين الدولة العثمانية والدولة السعودية الأولى، لذلك عملت القوات الغازية على الاستهداف المباشر لرموز الدولة السعودية سياسيًا ودينيًا، رغبة منها في إضعاف روح المقاومة لدى الأهالي باستهداف تلك الرموز، وللقضاء على الجذور الحضارية للدولة السعودية.
- واجه علماء الدولة السعودية الأولى محنًا قاسية وصنوفًا من العذاب عديدة شملت القتل، والتعذيب والنفي والتهجير، والتضييق الفكري ونهب المؤلفات، ورغم هذه التحديات، ثبت العلماء وأبلوا بلاءً حسنًا في الدفاع عن عقيدتهم وبلادهم. مما أسهم في استمرار أثرهم حتى بعد انهيار الدولة السعودية الأولى، إذ لعب العلماء دورًا محوريًا في الحفاظ على الهوية الدينية والفكرية للمجتمع السعودي.

- اللافت للانتباه أنه رغم هذه المحن، صمد العلماء ودافعوا عن الدرعية وعن بلدانهم في نجد، وضحى عدد منهم بأرواحهم في سبيل المحافظة على ركائز دولتهم ومكانتها السياسية والدينية وعلى نقاء الدعوة السلفية، أما من نفي منهم فقد حافظ على رسالتهم الدينية والعلمية في مواطن النفي والتهجير، فكانوا سفراء للدولة السعودية هناك؛ مما ساهم لاحقًا في حملهم راية العلم عند نشأة الدولة السعودية الثانية بعد ٧ سنوات من الفوضى والاضطرابات على يد القوات الغازية.
- رغم الممارسات القاسية بحق العلماء إلا أن القوات الغازية لم تنجح في تحقق مبتغاها فمع قيام الدولة السعودية الثانية (1240 - 1309 هـ/ 1824 - 1891م) عاد عدد كبير من العلماء الناجين والمنفيين يحملون راية العلم مجددًا في أحضان دولتهم الفتية الجديدة، واستمرت مساهماتهم العلمية حاضرة في المنظومة الدينية والتعليمية، بل وأسهمت في إعادة تشكيل المشهد العلمي والقضائي في نجد مجددًا.
- إن الغزو العسكري وأساليب القمع والبطش وإن تنوعت وتعددت ليس بإمكانها إخماد الولاء والنضج العلمي في نفوس العلماء المخلصين لدولتهم، ولا يمكنها القضاء على التأثير العلمي والحضاري للعلماء بل إن الكبت والقمع يولد الصمود ويعمق الولاء للوطن، وينقل رايات الفخر والعز للأجيال التالية.
- رحم الله أولئك العلماء الأبطال الذين بذلوا أرواحهم وكل غال ونفيس في سبيل حماية عقيدتهم ودولتهم، فاستمر غرسهم الذي نجني ثماره إلى اليوم.

حواشي البحث:

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ والآثار بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز.

(١) حسن الريكي: لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 2005م، ص81، 274، حسين بن أبي بكر بن غنام: تاريخ نجد "روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، تحقيق: ناصر الدين الأسد، القاهرة: دار الشروق، ط4، 1994م، ص483.

(٢)جوهان لودفيج بوركهارت: مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة عبد الله العثيمين، ط2. 1003هـ، ص35.

(٣) عثمان بن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: محمد الشثري، الرياض: دار الحبيب، 1420هـ، ج1، ص283-284.

(٤) ابن بشر: عنوان المجد، ج1، ص 272.

(٥) حشيم الشريف: التعليم في عهد الدولة السعودية الأولى 1157-1233هـ، أم القرى، 1424هـ، ص 146، 175-176.

(٦) ابن بشر: عنوان المجد، ج1، ص34-35.

(٧) سيأتي الحديث عنه لاحقًا.

(٨) خالد بن عبد الله السعيد، عناية أئمة الدولة السعودية الأولى والثانية بالعلم والعلماء، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، ع 42، 2022م، ص 224.

(٩) إبراهيم باشا: ولدفي ألبانيا عام 1204هـ/1789م، تولى مناصب إدارية عدة، وعينه محمد علي باشا قائدًا للحملة المصرية ضد الدولة السعودية الأولى، سيطر على الدرعية، ونكل بأهلها، تنازل له والده عن الحكم عام 1264هـ/1848م ولكنه مرضومًا في العام نفسه، انظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م، ط5، ج1، ص73.

(١٠) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، 1998م، ج3، ص341-342.

(١١) عبد الله البسام: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ط2، ج1، الرياض: دار العاصمة، 1419هـ، ص 176، فاطمة حسين القحطاني، حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها (1231 – 1233هـ / 1816 – 1818م)، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1431هـ، ص187.

(١٢) وادي الصفراء من أشهر أودية الحجاز وأكبرها، وفيه قرى عديدة، ويعرف اليوم بالواسطة، ويبعد عن المدينة المنورة حوالي 128 كم، ومعظم سكانه من قبيلة حرب، انظر عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية للسيرة النبوية، مكة المكرمة: دار مكة،1982م، ص 176-177.

(١٣) أحمد طوسون محمد باشا (1794–1816) هو ابن محمد علي باشا والي مصر وقائد عسكري، كلفه والده بقيادة الحملة العسكرية الأولى إلى الحجاز بهدف استعادة المناطق التي خضعت للدولة السعودية الأولى، قاد طوسون باشا الحملة عام 1226هـ/ 1811م وتمكن من استعادة الحجاز لكنه واجه صعوبات في التقدم نحو نجد، حيث تكبدت قواته خسائر كبيرة في معركة وادي الصفراء عام 1226هـ/ 1812م. فعين ابنه إبراهيم باشا ليقود الحملة العثمانية الثالثة، محمد بن عبد الله النويصر، موقف الأهالي في نجد من حملات طوسون وإبراهيم باشا، مجلة المؤرخ المصري جامعة القاهرة، ع 24 ، 2001م.

(١٤)البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص505- 506.

(١٥) عبد الرحيم عبد الرحمن: من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي باشا، القاهرة: دار الكتاب الجامعي،2001م، ج1، ص358-364.

(١٦) ثادق: بفتح الثاء، والثدق في اللغة انهمار المطر واندفاع السيل في الوادي، وقاعدة إقليم المحمل، وتبعد عن الرياض حوالي 150 كم شمالًا، انظر عبد الله بن محمد بن خميس: معجم اليمامة، ج1، ط1، 1978م، ص 221-224.

(١٧) سيأتي تفصيل طريقة استشهاده رحمه الله.

(١٨) الماوية: تقع في محافظة الحناكية في منطقة المدينة المنورة وتبعد عنها مسافة 214 كم، انظر موقع إمارة منطقة المدينة المنورة.

(١٩) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، ص294-295، محمد عبد الله بن حميد، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، ج1، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1416هـ)، ج1، ص 28-29.

(٢٠) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج3، ص458. محمد عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، ج1، ط2، الرياض: مطبعة الحلبي، 1403هـ، ص246-247.

(٢١) القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص248.

(٢٢) شقراء: قاعدة إقليم الوشم، عبد الله بن محمد بن خميس: المجاز بين اليمامة والحجاز، جدة: تهامة، ط3، 1981م، ص 59-60.

(٢٣) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج3، ص462.

(٢٤) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص418-421.

(٢٥) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص418-421.

(٢٦) أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، 2008م، ج3، ص 2073.

(٢٧) تعرف جرائم الحرب بأنها " انتهاكات قوانين وأعراف الحرب وتتضمن هذه الانتهاكات على سبيل المثال لا الحصر القتل العمد، والمعاملة السيئة، أو الإقصاء، والقتل أو المعاملة السيئة لأسرى الحرب أو قتل الرهائن، نهب الأموال العامة أو الخاصة، والتدمير غير المبرر للمدن والقرى أو التخريب الذي لا تبرره ضرورات الحرب، انظر، عديلة بو عوة، نصيرة بو عسيلة: جرائم الحرب في القانون الدولي والجنائي، 2015م، الجزائر: جامعة محمد الصديق بن يحي، ص13.

(٢٨) ابن بشر: عنوان المجد، ج1، ص333، الجبرتي: عجائب الآثار، ج4، 462-463.

(٢٩) ج فورستر سادلير: رحلة عبر الجزيرة العربية خلال عام 1819م ترجمة: أنس الرفاعي، ط2، الكويت: سعود غانم العجمي، 2005م، ص84-90، 97.

(٣٠) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص 342.

(٣١) أمين الريحاني: تاريخ نجد الحديث، بيروت: دار الجيل، ص90.

(٣٢) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص 335.

(٣٣) كان والده من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتعلم على يد علماء الدرعية، عينه الإمام عبد الله بن سعود قاضيًا في الخرج، قتل رحمه الله عام 1233هـ/1818م، انظر: البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج5، ص179.

(٣٤) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص335، إبراهيم صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، 1419هـ)، ص109، القاضي، روضة الناظرين، ج2، ص106.

(٣٥) كان عالما في الفقه والتاريخ والأدب، وعينه الإمام سعود بن عبد العزيز، قاضيًا على مكة لفترة ثم عاد إلى الدرعية، قتل رحمه الله عام 1233هـ/1818م، انظر: البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، ص298، القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص123.

(٣٦) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، ص298، القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص123، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1394هـ، ص 46 – 47.

(٣٧) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص335، عبد الرحيم عبد الرحمن: الدولة السعودية الأولى، ط6، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ص 343-344، منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الأولى، ط 2، ج 4، د. ن، 1993م، ص 88، العالم الذي غدر به إبراهيم باشا في حرب الدرعية صالح بن راشد الحربي، صحيفة الجزيرة، – 1232 هـ،

https://www.al-jazirah.com/2008/20081019/wo3.htm

(٣٨) حوطة بني تميم: بفتح الحاء من حاط الشيء يحوطه إذ حجزه وسوره وهي إحدى المحافظات التابعة لمنطقة الرياض، وتبعد عن الرياض حوالي ١٥٠ كم جنوبًا، انظر بن خميس: معجم اليمامة، ج1، ص354-355.

(٣٩) الحريق: من إمارات منطقة الرياض، انظر حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الرياض: منشورات دار اليمامة، ج1، ص 434.

(٤٠)البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج2، ص 190-19. ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص335.

(٤١) أشيقر : مدينة عامرة تقع شمالي الوشم، وأغلب سكانها من تميم، وأنجبت طائفة من العلماء والأعلام، انظر بن خميس: معجم اليمامة،ج1، ص 82-80.

(٤٢) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج1، ص 375-376، ص432.

(٤٣) محمد عمر الفاخري، تاريخ الفاخري، دراسة وتحقيق: عبدالله الشبل، (الرياض: الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، 1419هـ)، ص183.

(٤٤) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج1، ص 169- 177.

(٤٥)البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج3، ص 347-348.

(٤٦) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج1، ص177-178.

(٤٧)البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، ص54.

(٤٨) القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص197-198. هشام محمد السعيد، الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: سيرته العلمية وإجازته الحديثية، مجلة الدارة، مج41، ع4، 2015م، ص15-16، 21.

(٤٩) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، ص 182-183.

(٥٠) آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم، ج1، ص 182-183، ص191.

(٥١) القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص308، بن قاسم، الدرر السنية، ج16، ص414. ،65. آل الشيخ، مشاهير علماء نجد ، ص119. القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص311.

(٥٢) القاضي، روضة الناظرين، ج2، ص107-108.

(٥٣) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص 335.

(٥٤) ابن حميد، السحب الوابلة، ص126-130.

(٥٥) البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج4، ص35-37. القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص335.

(٥٦) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج5، ص 174-175، آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص73.

(٥٧) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج5، ص 364-366.

(٥٨) جمد الجاسر، المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، دار اليمامة، 1980م، ص 275-276؛ دلال الحربي: نساء شهيرات من نجد، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، 1999م، ص110-112.

(٥٩) القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص255، البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج3، ص339.

(٦٠) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج3، ص340-341.

(٦١) القاضي، روضة الناظرين، ج1، ص256-257، البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج3، ص336-345.

(٦٢) العطار: إحدى بلدان إقليم سدير، تبعد عن الرياض 160 كم، انظر: بن خميس، معجم اليمامة، ج1، ص283.

(٦٣)البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون، ج5، ص358-359.

(٦٤) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج4، ص 171.

(٦٥) عينه الإمام عبد الله بن سعود، قاضيًا في سدير، وفي عهد الإمام تركي بن عبد الله عين قاضيًا في الرياض، واستمر في قضاء الرياض حتى عهد الإمام فيصل بن تركي حيث لزم الإمام فيصلًا وشارك معه في حروبه، ولم يقتصر دوره على القضاء فحسب، بل انشغل أيضًا بالتدريس والتعليم، مما أسهم في تخريج العديد من العلماء البارزين من بينهم ابنه الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، والمؤرخ عثمان بن عبد الله بن بشر صاحب كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد"، انظر: البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، 311-314.

(٦٦) البسام، علماء نجد خلال ستة قرون، ج1، 311-314.

(٦٧) حمد العنقري: مكتبات الدولة السعودية المخطوطة، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ط1، 1430هـ، ص43، ص 178-233.

(٦٨) حريملاء: بضم الحاء وفتح الراء بلدة عامرة تعد إحدى محافظات منطقة الرياض، وتبعد عنها حوالي 86 كم شمالًا، انظر، بن خميس، معجم اليمامة، ج1، ص317-318.

(٦٩) ابن بشر، عنوان المجد، ج1، ص 359.

(٧٠) العنقري، مكتبات الدولة السعودية، ص46-48.

(٧١) العنقري، مكتبات الدولة السعودية، ص51، ص 60.